

NEGENTROPY "الطاقة السلبية" و "حمام القمر"

الفوض عميقاً فى التعبير التجردى



بقلم : جورج انتونيو اسينوسا

"حمام القمر"

مرتدين اللون الأسود، نزل جورج ريستريبو وطلابه في بحيرة مونتيريدونديو حاملين بالونات منفوخة حديثاً. شدة برودة الماء وطينية القعر جعلت نزولهم فيها شيئاً أحرقاً و مع ذلك بدا نزولهم فيها كأنه موكب رسمي! وبشكل عفوي، لحظة نزولهم إلى الماء، بدأ الطلاب يرشقون أستاذهم، ووجه الأستاذ كان يستقبل رشقات الماء القوية من ٩٣ اتجاهاً حوله. كان يستقبلها بقهقهة وضحك وذراعيه مفتوحة سمحت باستقبال رشقات الماء حتى أنهك المشاركون وسمحوا له بالتنفس.

وبينما كان الهدوء والسكينة يسودان المكان بعد انتهاء الطلاب من رشق أستاذهم، انتشروا في البحيرة حاملين بالوناتهم بأيديهم كأنهم لوحة كاريكاتيرية لفصل الكربون. واستقروا في الماء، مخفين أجسادهم حتى رقابهم فيها، ومخرجين رؤوسهم كأنهم مجموعة حسنة من سكان العالم قد يجدون أنفسهم يوماً ما في المستقبل غير البعيد.

ليس من المستحيل التفريق بين الحالة المعتمة التي يورثها الجيل الحالي لكوكب الأرض وبين التفاؤل والعواطف التي يحملها هذا الجيل من الشباب بعد أسبوع من خُرُجهم. بعد أيام قليلة سيخرجون إلى العالم ليصارعوا لتحقيق أحلامهم مشروع ريستريبو عمل كنقطة لقاء بين الخوف والأمل، وهما مظهرين يمكننا إدراكهما هنا كشيئين متكاملين - صوتين يتواجدان مع بعضهما في صدى مستمر، كأجنحة نامية بدل من نفي متبادل لأنفسهم.

الأستاذ يعد خشبة المسرح، والعمل يبدأ يأخذ طابعه الحيوي تدريجياً، مظهراً تدمير جيل من آخر، لإهماله وأخطائه وتجاوزاته، ولكنه تذمر رقيق ومتفائل، ونذير لنقطة تحول مهمة، حيث سيأخذ الجيل الجديد عصا القيادة محضراً لما سيأتي من بعد!!!

نيجينتروبي (الطاقة السلبية) - Negentropy

بعدما كان الطلبة يهتزون بصحبة بالوناتهم في الماء وهم مفعمين بالطاقة، استقروا وسكنوا في الماء، منصرفين إلى ترتيب ونظام أكبر والذي هو جزء من نظام حيوي يسمى نيجينتروبي " او الطاقة السلبية اللامتاحة في نظام ديناميكي حراري مغلق". الحياة مرتبة حسب أكثر درجات الاعتماد المتبادل والتواكل تعقيداً (مثل العلاقة بين النسيج والعضو، والعلاقة بين النظام الحيوي والأجناس الحيوية)، السعة على التفكير والتأمل بتعقيد الأنظمة الحيوية والقابلية إلى التعلم من هذه الأنظمة وتطبيق الحكم منها على حياتنا اليومية هي من اختصاص البشر الذي سيقدر مستقبل هذا الكوكب. بغير ذلك ، كيف يمكننا أن نتخيل أو نحقق مستقبلاً مستداماً للبشرية على هذا الكوكب أو غيره من الكواكب التي ظلم باستعمارها سواء كان ذلك في الخيال أو الواقع؟؟

في وسط صحراء أريزونا، بنيت أركوسانتي كمدينة مستدامة، بلا سيارات، وتحتوي مبانٍ متعددة الاستخدام ، تجمع المنزل ومكان العمل ومصدراً للرزق في مكان واحد، والتي هي مظاهر مهمة للحياة البشرية تم فصلها بسبب التوسع الحضري غير المستوعب. ما سبق تم تحقيقه باستخدام ٢٪ فقط من المساحة التي تستعملها أي مدينة أخرى. تخيلوا وجود مدن مخططة بفعالية، محاطة بالغابات والمزارع. كيف ستكون الحياة فيها؟

باولو سوليري هو العماري الذي وضع مصطلح " arcology " - العمارة البيئية - وهي دمج لمصطلحي العمارة " architecture " و البيئة " ecology " ، لقد نجح في طرح بديل جديد قابل للتطبيق لمساعدة البشر على الحياة والاستمرار، مؤسساً مستويات متصاعدة للتعقيد.

رائد آخر لمبدأ الطاقة السلبية " نيجينتروبي " هو جويل سالاتين، الذي أعاد خلق العلاقات التكافلية المستنبطة في الطبيعة من النباتات والحيوانات المجترة والحشرات والطيور مستخدماً الدواجن والمواشي لخلق نظام حيوي في مزرعة عائلته الخاصة، والتي تحصد الغذاء بطريقة مستدامة، وتزيد من خصوبة التربة وتحافظ على امتداد جدير بالاهتمام للغابة.

هذه القدرة الاستيعابية والإدراكية للاستدامة يمكن رؤيتها في حياة وأعمال منظرين أمثال جويل سالاتين وباولو سوليري. نحن سلالة البشر علينا أن نستيقظ من سباتنا وجهلنا ونتبنى مبدأ الطاقة السلبية " negentropy " كأسلوب لعملنا ونهج لحياتنا، وإلا سنجد أنفسنا غارقين في جهلنا من غير تحقيق أي تقدم يذكر!

تحدى المعلم طلابه بأن يغوصوا عميقاً في التعبير التجريدي إلى أن يصبحوا التعقيد جد ذاته، ليروا أنفسهم كجزء من عمل عظيم كبير نسابق إليه نحن البشر. الجزء الأيمن من الدماغ المسؤول عن التفكير التجريدي والإبداع الفني هو نفسه الذي يسهل الشعور بالتواصل مع الآخرين والبيئة المحيطة.

خرج الأستاذ وطلابه مبتسمين من البحيرة بعد الانتهاء من طقوس هذا الحمام، الذي سيمثل -عبر العصور- رمزاً للبدء والنقاء والتحضير لتحقيق مهام روحية مخصصة للعبادة.

ترجمة: ديمابو عررؤة

Translated by: Dima Abu-Arida - A r c h i t e c t -

"Moonbath" and "Negentropy":

Diving into Abstraction

Article by Jorge Antonio Espinosa

A collective performance by Jorge Restrepo

www.jorgerestrepo.com